الحلقة الثالثة

من كتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد الله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

وصلى الله على نبينا محمد الذي تركنا على المحجَّة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلَّا هالك، وعلى آله وصحبه الذين اختارهم واصطفاهم، وجعل الناجي منا من كان على طريقتهم وسلك سبيلهم إلى يوم الدين.

أما بعد، فقد تبيَّن في الحلقتين السابقتين:

١ – أن للإيمان عند السلف ثلاثة أركان: (تصديق، وقول، وعمل)، وأن العمل فيه ركن أصيل لا يصح وينعقد الإيمان إلَّا به.

٢ – أن الإيمان عند المرجئة الأوائل وهم ما يسمون بمرجئة الفقهاء: (تصديق، وقول)، وأما مرجئة الجهمية والأشعرية فالإيمان عندهم: (التصديق أو المعرفة).

وقد اتفق جميع المرجئة على اختلاف مذاهبهم من المتقدمين منهم والمتأخرين والمعاصرين على أن العمل شرط كمال في الإيمان، وفرع من فروعه، يصح إيمان العبد بدونه، ويكون تاركه بالكلية من أهل الشفاعة يوم القيامة وإن لم يعمل خيرًا قط، وهو قادر عليه.

فإن ارتاب مرتاب ولم يقنع بهذا التقسيم بين الفريقين، وادعى موافقة السلف في الظاهر، فقال: الإيمان (تصديق، وقول، وعمل)، ثم تناقض وزعم أن العمل شرط كمال فيه، وفرع من فروعه يصح الإيمان بدونه، وادَّعى أن هذا هو حقيقة مذهب السلف، وأنه ظاهر كلامهم، ثم كابر في ذلك واتَّهم من خالفه بمذهب الخوارج !

فلينظر في هذا الفصل، فقد عُقد ليفصل في هذه المسألة بين المتنازعين بكلام أهل العلم المعاصرين ممن يشهد لهم بموافقة السلف في مسائل الاعتقاد.

والله أسأل أن يهدينا لما اختلف فيه من الحق بإذنه، إنه يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

فَصْلٌ

في رد أهل العلم المعاصرين على من زعم أن الإيمان شرط كمال فيه وفرع من فروعه يصح إيمان العبد بدونه

لما انتشر القول بأن العمل الصالح شرط كمال في الإيمان، وفرع من فروعه، وأن إيمان العبد يصح بدونه، وأصبح هذا القول هو الساري في كتب المتأخرين من المفسرين وشُرَّاح الحديث، وتأثر به من تأثر ممن ينتسب إلى السُّنَّة والسلفية، فأصبحوا يدرسونه لطلابهم ويقررونه في كتبهم ودروسهم ومواقعهم، وينسبون هذا المذهب الإرجائي في إسقاط العمل إلى مذهب أهل السُّنَّة والجماعة، بل وأصبحوا يحاربون من قال بركنية العمل في الإيمان وأنه لا يصح إيمان عبد بدونه مع القدرة عليه، ويصِمون من قال بذلك بمذهب الخوارج، ويحذرون منه أشد تحذير!

فبسبب ذلك كثرت فتاوى أهل العلم وكتاباتهم ومقالاتهم في الرد على هذه الطائفة المشؤومة، وتحذير طلبة العلم والعامة منهم، ومن مناهجهم وتلبيساتهم وكتاباتهم، فمن ذلك:

١ ـ اللجنة الدائمة للإفتاء بالمملكة.

إذ تعددت بياناتهم وفتاويهم في التحذير من مذهب المرجئة المعاصرة، ومن المقالات والكتب التي تنشر مذهبهم، ومن ذلك:

أ ـ فتوى اللجنة الدائمة رقم (٥٤١١) (٢/ ١٢٧)، وفيها:

هذه المقالة المذكورة هي مقالة المرجئة الذين يخرجون الأعمال عن مسمى الإيمان، ويقولون: الإيمان هو التصديق بالقلب، أو التصديق بالقلب والنطق باللسان فقط، وأما الأعمال فإنها **عندهم شرط كمال فيه**

فقط وليست منه، فمن صدَّق بقلبه، ونطق بلسانه؛ فهو مؤمن كامل الإيمان عندهم، ولو فعل ما فعل من ترك الواجبات، وفعل المحرمات، ويستحق دخول الجنة ولو لم يعمل خيرًا قط.. إلخ.

ب ـ وسُئلت اللجنة (٢١٤٣٥) (٢/ ١٣٥) عن كتاب بعنوان: «حقيقة الإيمان بين غلو الخوارج وتفريط المرجئة» لعدنان عبد القادر.

فأجابت: هذا الكتاب ينصر مذهب المرجئة الذين يخرجون العمل عن مسمى الإيمان وحقيقته، **وأنه عندهم شرط كمال**، وأن المؤلِّف قد عزَّز هذا المذهب الباطل بنقول عن أهل العلم تصرَّف فيها بالبتر والتفريق وتجزئة الكلام، وتوظيف الكلام في غير محله، والغلط في العزو.. إلخ.

ج ـ وسئلت اللجنة عن كتاب: «ضبط الضوابط في الإيمان ونواقضه»، والذي قال فيه مؤلفه: (المحرر الذي حوله الأسطر: هو بيان أن تارك العمل الظاهر لا يكفر كفرًا أكبر ما دام يتلفظ بالشهادتين، ولم يتلبَّس بناقض).

وقال: (والقول بأن تارك العمل الظاهر كافر مخلد في النار هو قول الخوارج والمعتزلة).

وقال: (وللأسف فقد تأثَّر بعض الناس بهذا الفكر وزعموا أن من نطق بالشهادتين ولم يأت بناقض، ولم يقم بشيءٍ من أركان الإسلام الخمسة سواها فليس بمسلم، بل هو من أهل الخلود في النار، ثم نسبوا ذلك إلى مذهب أهل السُّنَّة، ونسبوا من خالفهم في ذلك إلى الإرجاء).

فجاء جواب اللجنة الدائمة برئاسة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ منكرًا على صاحب الكتاب ما أنكر، ومؤكدًا أن هذا قول المرجئة: (.. وجدناه كتابًا يدعو إلى مذهب الإرجاء المذموم؛ لأنه لا يعتبر الأعمال الظاهرة داخلة في حقيقة الإيمان، وهذا خلاف ما عليه أهل السُّنَّة والجماعة من

أن الإيمان قول باللسان، واعتقاد بالقلب، وعمل بالجوارح، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وعليه: فإن هذا الكتاب لا يجوز نشره.. ونحذر المسلمين مما احتواه هذ الكتاب من المذاهب الباطلة، حماية لعقيدتهم واستبراءً لدينهم، كما نحذر من اتباع زلات العلماء..).اهـ.

٢ ـ قال الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ جوابًا لمن سأله عن قول ابن حجر: إن السلف اعتبروا العمل شرط كمال في الإيمان.

فقال: لا، هو جزء، ما هو بشرط، هو جزء من الإيمان، الإيمان قول وعمل وعقيدة؛ أي: تصديق.

ثم سُئل: هناك من يقول بأنه داخل في الإيمان، لكنه شرط كمال؟

فقال: لا، لا، ما هو بشرط كمال ـ جزء، جزء من الإيمان ـ. هذا قول المرجئة، المرجئة يرون الإيمان قول وتصديق فقط.اهـ.

[«مجلة المشكاة» المجلد الثاني، الجزء الثاني/ ٢٧٩، ٢٨٠]

٣ ـ قال الشيخ صالح الفوزان في تعليقه على «نونية ابن القيم» (٦٤٧/٢) وهو يعدد فرق المرجئة:

وهناك فرقة خامسة ظهرت الآن وهم الذين يقولون: إن الأعمال شرط في كمال الإيمان الواجب، أو الكمال المستحب.اهـ.

ـ وسُئل في «درس شرح كتاب التوحيد» (٥/٨/ ١٤٣١هـ): يقول صاحب كتاب «مفهوم الإيمان عند أهل السُّنَّة»: بأن الأعمال كلها شرط كمال عند أهل السُّنَّة والجماعة، فهل هذا صحيح؟

فأجاب: هذا يكذب، الأعمال ما هي شرط كمال، الأعمال من الإيمان، لا إيمان بدون أعمال، ولا عمل بدون إيمان، لا بد من الاثنين جميعًا، قول باللسان، واعتقاد بالقلب، وعمل بالجوارح، هذا هو الإيمان.اهـ.

ـ وسُئل كذلك: هناك من يقول: الإيمان قول وعمل، ولكن العمل شرط كمال فيه.

فقال: الذي يقول هذا ما فهم الإيمان ولا العقيدة.. وقوله: إن الإيمان قول وعمل واعتقاد، ثم يقول: إن العمل شرط في كمال الإيمان وفي صحته، هذا تناقض، كيف يكون العمل من الإيمان ثم يقول: العمل شرط، ومعلوم أن الشرط خارج المشروط، فهذا تناقض منه، وهذا يريد أن يجمع بين قول السلف وقول المتأخِّرين، وهو لا يفهم التناقض؛ لأنه لا يعرف قول السلف، ولا يعرف حقيقة قول المتأخرين فأراد أن يدمج بينهما في الإيمان، قول وعمل واعتقاد، والعمل هو من الإيمان وهو الإيمان، وليس هو شرطًا من شروط صحة الإيمان، أو شرط كمال أو غير ذلك من هذه الأقوال التي يروجونها الآن.اهـ.

٤ ـ وقال الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «درء الفتنة عن أهل السُّنَّة» (ص٣٤): وإياك ثم إياك ـ أيها المسلم ـ أن تغترَّ بما فاه به بعض الناس من التهوين بواحد من هذه الأسس الخمسة لحقيقة الإيمان، لا سيّما ما تلقفوه عن الجهمية وغلاة المرجئة من أن (العمل كمالي في حقيقة الإيمان ليس ركنًا فيه)، وهذا إعراض عن المحكم من كتاب الله تعالى في نحو ستين موضعًا، مثل قول الله تعالى: ﴿وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٤٣﴾ [الأعراف: ٤٣]، ونحوها في السُّنَّة كثير، وخرق لإجماع الصحابة ومن تبعهم بإحسان.اهـ.

قلت: وهذا الكتاب قد أثنى عليه الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وأوصى بنشره وتوزيعه.

٥ ـ سُئل الشيخ عبد الله الغديان رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

الذي يقول: إن الأعمال شرط كمال هل هذا قول أهل السُّنَّة؟

فأجاب الشيخ: لا، شرط صحة.

ثم قال: أجل الآن لو أن الناس مثلًا تركوا جميع الأوامر، وفعلوا جميع النواهي يكون الإيمان صحيح؟ يعني: لا يصلون، ولا يصومون، ولا يعتمرون، ولا يحجون، ولا يزكون، ويتعاملون بالربا، والزنا، والسرقة، وكل شيء يصيرون مؤمنين؟! هذا قصدهم الذين يقولون: إن الإيمان شرط كمال.

السائل: هل هذا قول المرجئة؟

قال الشيخ: قول المرجئة.

[نقلًا من كتاب «الإيمان عند السلف» (٢/ ٧٢)]

٦ ـ سُئل الشيخ عبد العزيز الراجحي:

هناك من يقول: (الإيمان قول وعمل واعتقاد؛ لكن العمل شرط كمال فيه).. فهل هذا القول من أقوال أهل السُّنَّة أم لا؟

الجواب: ليست هذه الأقوال من أقوال أهل السُّنَّة، أهل السُّنَّة يقولون: الإيمان هو قول باللسان، وقول بالقلب، وعمل بالجوارح، وعمل بالقلب، ومن أقوالهم: الإيمان قول وعمل، ومن أقوالهم: الإيمان قول وعمل ونية، فالإيمان لا بد أن يكون بهذه الأمور الأربعة:

١ ـ قول اللسان، وهو النطق باللسان.

٢ ـ قول القلب، وهو الإقرار والتصديق.

٣ ـ عمل القلب، وهو النية والإخلاص.

٤ ـ عمل الجوارح.

فالعمل جزء من أجزاء الإيمان الأربعة، فلا يقال: العمل شرط

كمال، أو أنه لازم له، فإن هذه أقوال المرجئة، ولا نعلم لأهل السُّنَّة قولًا بأن العمل شرط كمال. اهـ.

[«أسئلة وأجوبة في الإيمان والكفر». (السؤال الثاني)]

قلت: وتتبع فتاوى المعاصرين في هذا الباب يطول.

والمقصود أن المتأخِّر من أهل العلم قد اتبع المتقدم ولم يأت بجديد ولا بمحدثٍ من القول، وإنما الموفق منهم من نصر أقوال السلف في هذا المسألة، وقال بما قالوا، وكفَّ عما كفوا، ولم يتبع غير سبيلهم في هذه المسائل.

فتنبَّه، وعليك بما كان عليه سلف الأمة وعلماء الأثر الأوائل في أبواب السُّنَّة والاعتقاد ومن سار على طريقهم واقتفى أثرهم، ولا تلتفت إلى من خالفهم واتبع غير سبيلهم كائنًا من كان، فليست العبرة بالألقاب ولا بالشهادات ولا بالمناصب، وكثرة الكتب والتأليف، وإنما العبرة بالاتباع والاقتداء بمن سلف، وقد كانوا يقولون: لن نضلَّ ما تمسكنا بالأثر، وبأهل الأثر.

فأهل الأثر كانوا يقولون: لا إيمان إلَّا بعمل، ولا عمل إلَّا بإيمان، فهما قرينان متلازمان لا ينفكان أبدًا، كما سيأتي في الفصل التالي.

الحلقة الرابعة

فَصْلٌ

أقوال أئمة السلف والسُّنَّة ومن بعدهم من أهل العلم في أنه لا إيمان إلا بعمل، ولا عمل إلا بإيمان، وأنه لا يصح أحدهما إلا بالآخر